

الفصل الخامس

الخطوة الرابعة



لا تتوقف عن التعلم فضيه طاقة التجديد

لم أر مدى لزومها وعظمتها كما كان ينبغي علي أن أراها.

جاك ويلش

المدير التنفيذي السابق لشركة جنرال إلكتريك

على شبكة المعطيات العالمية (الإنترنت) عام ١٩٩٩

عندما ظهر كتابي الأول (دليل المرأة إلى الحنكة المالية) عام ١٩٨١ لم تكن تراودني فكرة أنني أستطيع أن أكتب أو أمتهن الكتابة فضلاً عن أن أكتب العديد من الكتب، كما لم أكن أعلم حينذاك أن الكتابة سوف تصبح حبي ومهنتي. وبعد أكثر من عشرين عاماً أراني أكتب العديد من الأعمدة الشهرية وأكتب كتاباً جديداً واحداً على الأقل في السنة، فأنا أركز دائماً على المشروع التالي وأقرأ كثيراً جداً من كتب الآخرين. لماذا؟ لكي أتعلم شيئاً جديداً.

هناك على الدوام شيئاً لاتعرفه وقد حان الوقت الآن لكي تبحث عنه. عليك أن تتعلم شيئاً، وأن تبرهن لنفسك أنك تستطيع أن تبذل



فيه، وعليك أن تصبح على خبيراً به، فمن الطبيعي ألا تتمكن من أن تصل إلى ذلك ولكنك ستصبح خبيراً لنفسك. ومن يدري؟ فربما أصبحت رب عمل فتحول معرفتك التي حصلت عليها إلى أحد الأصول المنقولة لديك.

إنه لحدث غير عادي أن يتقن المرء شيئاً ما خلال فترة قصيرة، لكن الغالب أن يتم تكرار «شيء ما» مرات عديدة وكثيرة حتى يتحقق إتقانه، ونظراً لأن بيئتنا سريعة التحول فإن الكثير من الأشياء التي تم إتقانها قد تصبح عتيقة خلال مدة قصيرة وربما قبل أن نتقنها! وإذا تعلقت بالماضي فإن المستقبل قد يخلف وراءه طرق أداء الأشياء التي اتبعتها عقوداً طويلة.

عليك أن تنذر نفسك للتعلم المتواصل وتوسيع معارفك بأفكار لإنجاز العمل بطريقة تفضل قليلاً عما توقعته. فأوجد أشياء جديدة وتعلمها وانطلق، وإنه لأمر مصيري لك أن تستحوذ على الأدوات التي تمكنك من أداء عملك، وإن لم تكن في مأمن من الطريقة التي تلقي بها خطباً أو تقدم مختصرات استعراضية فعليك باتباع دورة لذلك، وإذا احتجت إلى التحدث بلغة أجنبية لا تتقنها بشكل جيد جداً فانطلق للتدرب عليها. وإن كنت لا تستطيع أن تدير المال بصورة جيدة جداً فإذهب إلى محترف ليدريك على ذلك. إن توسيع المدارك وتعلم أمور جديدة يعتبر جزءاً من العناية بعملك والعناية بنفسك، فكل منا يمتلك ما هو مطلوب عندما نحتاج لما هو مطلوب، وما علينا إلا أن نلتزم بالبحث عما هو مطلوب لكي نعمل ما هو مطلوب.

حتى الخيول الهرمة تتعلم حياً جديدة

جاك ويلش Jack Welch المدير التنفيذي الخارق لشركة جنرال إلكتريك اعترف أنه لم يلتحق بالطريقة الصحيحة بركب البريد الإلكتروني الذي أصبح الخط الرئيسي للاتصالات في جميع أنحاء العالم، إذ كانت زوجته تستخدم شبكة المعطيات العالمية قبل سنوات عديدة من بدئه بالبحث الاستعراضي فيها حين عرفته لأول مرة في أوائل عام ١٩٩٩ على المواقع الاستثمارية ياهو! Yahoo التي كان الناس يتبرّمون عليها من جنرال إلكتريك أو يشتكون منها أو يحيونها، لكن ويلش تخلف عن الركب.

قدّم ويلش نفسه للعالم المتواصل بلا انقطاع من خلال المقابلات مع العديد من مجلات الأعمال، ففي عدد مجلة نيوزويك الصادر في الأول من كانون الثاني / يناير ٢٠٠١ شاطرَ ردّ الفعل مع الذين يضعون بريدهم على شبكة المعطيات العالمية.

جاك أحمق. جاك عظيم. جاك يجب أن يفعل ذلك. يا إلهي كم كان ذلك رائعاً. وهكذا بدأت أنسلّ من بين المجموعة أثناء الفترة الباقية من العطلة حتى أرى مافي الشبكة العالمية. وعندما عدت إلى البيت اشتريت سيديروم CD-Rom وأمضيت عطلة نهاية الأسبوع أتعلم كيفية الكتابة عليه، وقد كان ذلك تحدياً بالنسبة لي: «وصلت إلى سرعة ٢١ حرفاً في الدقيقة». ومن ثم رحلت أقضي العطل الأسبوعية في التدريب عليه حتى أصبحت اليوم جيداً فيه إلى حد ما.



خلال عدة أسابيع ظل ويلش يجلس أمام الحاسب ليتعلم الكتابة ورأى في ذلك فرصة لاتصدق تتاح له ولكل شخص آخر في إمبراطورية جنرال إلكتريك.

لم تأخذني الشبكة بالقدر الواجب، إذ لم أر مدى لزومها وعظمتها كما ينبغي عليّ أن أراهما. وأخيراً جاء وقت أحطت بها من كل جانب، ولم يكن ذلك بحاجة إلى عبقرية.

«صيحة السعادة بالاكشاف» التي أطلقها جاك ويلش خلقت ثورة في شركة جنرال إلكتريك، ابتداء بإدارة الشركة بكفاءة أكثر إلى توفير أكثر من مائة مليون دولار من نفقات السفر، فأصبحت مبيعات الشركة من خلال شبكة المعطيات العالمية اليوم بمليارات الدولارات وهي في طريقها إلى أن تتزايد. وأحس ويلش أن الشبكة لم تؤثر إلا قليلاً في الجيل الجليدي، شركته. ورغم أنه تقاعد عام ٢٠٠١ إلا أنه استمر في البحث عن الأشياء والمفاهيم الجديدة وتعلمها لما فيه مصلحة اهتماماته المستمرة التي اشتملت على إتقان الكتابة على الحاسب.

عود على بدء

تشعر سوزان شتاوتبيرغ Susan Stautberg مديرة شركة بارتركوم PartnerCom التنفيذية أن من المهم أن تفعل شيئاً جديداً يمكن أن يثيرك قليلاً.

إحدى خطواتي هي أن أفعل شيئاً، أي شيء قد يثيرك قليلاً أو قد ترى أنه يشكل خطراً كبيراً جداً. انطلق وجرب ذلك. كن مؤمناً بنفسك في الضراء والسراء، وإن تفشل فابدأ من جديد، فذلك هو



أصعب ماتقلعه بعد الكبوة أو بعد الإحباط بين حين وآخر. عليك أن تلمم نفسك وتبدأ من جديد .

إنه لأمر يشبه السقوط عن صهوة الجواد أو ل مرة، فإذا لم تعتليه كان من الصعب جداً أن تفعل ذلك في المستقبل، ولكنك إذا علوته بعد سقوطك أول مرة عرفت كيف تعتليه وتحاول من جديد دون أن تكثرث بعدد المرات التي تسقط فيها عن صهوه ته . فاجمع شتات نفسك واترك الباب بحثاً عن نافذة مختلفة .

من المهم أيضاً أن تدرك أن الأمر لن يبلغ تمامه على الدوام، إذ لا يعامل الجميع بنفس الطريقة، ولكن عليك أن تقنع نفسك من داخلها أن بإمكانك أن تفعل ذلك الأمر . الصوت الواثق يحتاج إلى أن يباح به من داخلك فيأمرك بالاندفاع إلى الأمام دون النظر إلى مدى سوء المرات، وعندما تحاول شيئاً وتتعلم شيئاً جديداً فإن ذلك يوصلك إلى نافذة جديدة .

الماضي والحاضر والمستقبل رهن إشارتك

قبل سنوات تناولت طعام الغداء مع كاتب القصص العلمية ريه برادبري Ray Bradbury الذي أخبرني أن فكرته عن التعليم المثالي لجميع الأطفال هي أن نحبسهم في المكتبة العامة ولا نتركهم يخرجون منها إلا عند الثامنة عشرة! وهو يؤمن إيماناً راسخاً أن ذلك سيحل المشاكل ويعلمهم في نفس الوقت، ولكنني أضفت أن ذلك قد يسبب المشاكل أيضاً .

في السنوات العشر الماضية حدثت وقابلت الآلاف من الرجال والنساء الناجحين، وكان من بين الأشياء المشتركة فيما بينهم أنهم يقرؤون، ليس كتاباً أو كتابين بل عشرات الكتب في كل عام، وقد اشتركوا في أنهم لا يحرصون أنفسهم في نطاق العمل، نادي الكتب غير القصصية، فحسب بل يقرؤون كتباً تكون في غالبيتها قصصية.

مدرية المدراء بات غوس Pat Goss ثابتة الجذور في وادي سيليكون، وتؤمن بقوة بالتعلم في جميع الأوقات، وقد اشتملت مسيرتها المهنية على التدريس الجامعي والاتصالات الفضائية وإدارة الموارد البشرية لمؤسسة بمليارات كثيرة من الدولارات وصولاً إلى تدريب المدراء. وخلال معرفتي بها والتي زادت عن العشرين سنة كانت على الدوام تقرأ ما لا يقل عن كتابين وتهضمهما كما تهضم البرتقالة.

أظن أن القراءة مهمة لكل شخص حتى يساير الوقت الراهن ويعرف ما يجري في حرفته أو في حرفة أو مجموعة يريد الانتقال إليها. كذلك وجدت أن من المهم قراءة سير الأعلام والتي يعتبرها كثير من الناس مملة، إلا أنها ليست كذلك إذا كتبت عن أشخاص أنجزوا أشياء، ويمكنك أن تتحسس بمصادر القوة والضعف التي كانت لديهم وربما استطعت أيضاً أن تتواصل معهم. وما تنتهي إليه في قراءة السير هو أن هناك العديد من الصفات الكثيرة المشتركة فيما بينهم.

كثيراً ما أثير دهشة الناس عندما أفعل أو أعيد شيئاً ما ، فيتساءلون: "حسن، كيف استحصلت على هذه المعلومات؟، وتعترهم الدهشة عندما أجيّبهم أنني قرأتها في كتاب حول شخص معين. كذلك من



المتع أن تلاحظ مختلف الأمور التي يحتاجها بشكل عام الأشخاص الذين لا يثقون بأنفسهم ولم ينجحوا أيضاً. إنني أصدق تماماً أي شخص وكل شخص كثير القراءة.

الفشل هو تعلمٌ أيضاً

أحد مصادر القراءة العظيمة هو الفشل الذي يأتي على مختلف الحجم والأشكال، وأحد الصور التي لا تنتبه إليها هي الوضع غير الصحيح؛ أي أن الظرف الذي أنت فيه أو تعمل فيه خطأ في مجمله. أجد الغالبية العظمى من آلاف الرجال والنساء الذين قابلتهم يقولون في الرد: إنهم سينتهون من هذا الظرف قريباً.

ومن أولئك أستاذ جامعي سابق.

المثابرة الذكية في العادة أمر جيد، ولكن ليس على الدوام. كنت أتبع سياسة جامعتي تماماً، وكانت اهتماماتي مركزة على إنجاز أهدافي الشخصية التي لم أميزها أو أقر بها على ضوء ترددي الأوضاع المتغيرة في الجامعة التي ترأست فيها قسماً رئيساً.

أوجدت تعاوناً مع عميد كلية إدارة الأعمال التي تمنح شهادة جامعية مزدوجة؛ هندسة وإدارة أعمال، للطلاب المشاركين في البرنامج. وعندما انتقل العميد إلى منصب آخر كأستاذ زائر، عملت جاهداً على متابعة البرنامج. لكنني لم أدرك أن رجلي قد ذهب وأصبحت يتيماً، مما جعل الاستمرار في البرنامج وإنجازه ضرباً من المستحيل، ولم تمض سنة من انتقال جيم إلا وكان قسمي قد زال بأكمله، فكم كانت

صدمتي كبيرة !



عندما تتغير الظروف فمن الحصافة دائماً أن يتراجع المرء لتقييم مجريات الأمور، فأنت في غالب الأحيان تكون قريباً جداً من الظرف فتصعب عليك رؤيته أو معرفة أي شيء عندما تكون رؤياك لما تبحث عنه محدودة.

حتى في القمة فإن التعلم يحظى بالمقام الأول

يجب على الرجال والنساء الذين يعملون في الدوائر الحكومية أن يبقوا أسماعهم وآذانهم مفتوحة وأن يستمروا في تعلم أشياء جديدة، لكن الخوف لايمكن فيمن هم خارج خدمة الدولة فقط. عاشقة الفن والسيدة الثانية السابقة جون موندل Joan Mondale تكشف قصة عن روزالين كارتر Rosalynn Carter.

أظن أن مثال روزالين كارتر في كونها شديدة الحياء واضطرارها إلى الكلام هو مثال واضح عن امرأة تقول: «سأتكلم ، فزوجي يثق بي، وينبغي على أن أتكلم، ولن أبقى متخلفة».

كذلك فإن موندل تشارك في قصة عن واشنطن دي سي بشكل عام، وهي قصة سريعة الخطوة، فكثير من النساء اللاتي تعرفهن متزوجات من رجال يحملون عبءاً ثقيلاً ضمن الحكومة واللاتي تخلفن في غالب الأحيان اتقاء الخوف ومعرفة أشياء جديدة.

هناك نساء لايكبرن وهؤلاء حزينات، ويتركن أزواجهن في بعض الأحيان، لأنهم يكبرون من الناحية المهنية، ولا يكبرن. بعضهن وحيدات ومازلن متزوجات وبعضهن مطلقات. إنها قصة حزينة، فقد رأيت ذلك



في حالتين عن صديقتين فقدتا زوجيهما حين كبرت مسيرتيهما المهنيتين وأينعتا .

صديقتاي ساورهما الرعب والخوف، ولم ترافقاهما أو تسافرا معهما، وكانتا تخافان الطائرات وجميع مخاطر السفر وإثارته . وكانتا محافظتين جداً وتخافان التغيير، وفي نهاية المطاف تحطم زواجهما .

ينبغي على المدرب أن يتعلم

تدرب على يدي جو تشاربونو Joe Charbonneau المقيم في تكساس مئات الآلاف من الرجال والنساء على تحقيق التميز المهني، وقد ارتبط أحد شعاراته بصورة مباشرة مع تعلم شيء جديد وإلا فالبقاء على الوضع الراهن .

إذا تراخيتِ تدنى كل شيء من مكانه، وعليك أن تتذكر أن باستطاعتك النزول فقط وليس الصعود . ولهذا تأثير عليك كشخص ووالد وصديق ومهني وعلى وظيفتك ، فصعود الهضبة إلى الوراء أمر فيه الكثير من العناء، وهو أول خطوة نطلق بها حينما نتعلم شيئاً جديداً، فامش وتحرك إلى الأمام في أجوائنا التي تبقى آثارها .

الدروس التي تعلمها وودس

في مسعاي لقراءة أكبر عدد ممكن من الكتب أثناء إجازتي في هاواي وقعت يدي على عدد أيلول / سبتمبر ٢٠٠٠ من مجلة غولف دايجيست Golf Digest ، وعثرت فيها على مقابلة مشرقة مع نجم النجوم تايفر وودس Tiger Woods ، حيث سئل فيها عن مشاركة



الآخرين فيما تعلمه في السنوات القليلة الماضية. عليكم اليوم أن تتذكروا أنه شاب المليار دولار في عالم الغولف. عندما احترف اللعب عام ١٩٩٦ لم يكن يعرف كيف يتدبر شؤون أمواله بعد أن وقع عقوداً وصرف بعض الشيكات، ولكنه كان جاهلاً في كيفية تفعيل بطاقة اعتماد، وإليك مايقوله:

يظن بعض الناس أنني ولدت غنياً، ولكن هذا الظن بعيد كل البعد عن الحقيقة، فأنا لم أمتلك في حياتي بطاقة اعتماد ولم أكن بحاجة إليها قط، غير أنني تعلمتها بسرعة وتعلمت أيضاً كيف أتدبر شؤون أموالي وأحاسب على الفلس، وأنا عازم على ألا أسير على نهج الكثيرين من الرياضيين المحترفين الذين لا يستطيعون قراءة ميزانية، فقد تعلمت أن الانتباه إلى التفاصيل في العمل مهم مثل البطولات الكبيرة.

يتابع وودس حديثه فيقول: إن تعليمه تعرض للكثير من العثرات امتدت من نوعية برنامج اللعب الذي يناسبه من الناحية الفكرية والجسمية إلى الطعام الذي يجب عليه تناوله أو أن يتناوله، إلى طريقة تعامله مع وسائل الإعلام وجمهور الغولف، وقال: إن الناس والعلاقات معهم هم أهم اهتماماته في التعلم. الثقة ضرورية عندما يكون المرء شيئاً كبيراً كما هي حال تايفر وودس فإن وجود الشخص والمجموعة الصحيحين هو أمر مصيري، فهم يقدمون لك الدعم والتشجيع ويضيفون إلى قيمتك الذاتية، ويضيف

مع كل شكري، فأنا مازلت أتعلم.

وكلنا يجب أن نظل نتعلم.

الخاطرة الثامنة

الشخص الذي أنت هو والذي تختار أن تكون عليه سيقوم على الكتب التي تقرأها والناس الذين تقابلهم. وإن تعلم أشياء جديدة يحافظ على حيوية عقلك ويقظتك، وليكن شعارك: يجب أن تنذر نفسك للتعلم المستمر.

إن تعلمُ شيء جديد سيزيد من مستوى ثقّتك من خلال حقيقة ناصعة هي أنك سوف تبعد أو توسع مداركك في مجالٍ تعرف القليل عنه أو تجهله. وحالك فيه كالطفل الذي يفتخر بإنجازاته سواء في التعلم أو ربط الحذاء أو أغنية جديدة أو حفظ تهجئة كلمات أو رسم «لوحة فنية»، وهو يشبه تحديّ عدوٍّ قديمٍ والانتصار عليه، فمع كل خبرة جديدة وفوز جديد تستمر مسيرتك في توسيع آفاقك ومداركك ويتجدد شباب خلاياك الدماغية.

التعلم على وجه التحديد طريقة سليمة لقضاء الحياة.

